دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 45، عدد 3، 2018

مجالات الطغيان الإنساني في ضوء القرآن الكريم

عودة عبد عبد الله، نادر مصطفى صوافطة*

ملخص

يقوم هذا البحث على دراسة موضوع الطغيان ومجالاته من خلال آيات القرآن الكريم. وقد تحدث القرآن الكريم عن عدة مجالات للطغيان، وهي الطغيان العقدي، والسياسي، والمالي، والاجتماعي.

وقد ظهر من خلال هذا البحث أن الطغيان مرض خطير، وله عواقب وخيمة على الإنسانية جمعاء، وقد حاربه القرآن الكريم، وحذر منه، وكشف قبحه وسوأته، ودعا إلى الابتعاد عنه، ومواجهته بكل السبل المشروعة، نظراً لما ينتج عن وجوده من تلويث للحياة وقتل للأحياء.

الكلمات الدالة: القرآن، التفسير، الطغيان، الإنسان.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، ومن سار على دربه واهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ كلّ موضوعات القرآن الكريم بالغة الأهمية، ومن بين هذه الموضوعات القرآنية الجليلة موضوع (مجالات الطغيان الإنساني)، ولا ريب في أهمية هذا الموضوع، لا سيما أن الطغيان مرض خطير، وله عواقب وخيمة على الإنسانية جمعاء، وقد حاربه الله سبحانه وتعالى من خلال آيات القرآن الكريم التي حذرت منه، وكشفت قبحه وسوأته، ودعت إلى الابتعاد عنه ومواجهته بكل السبل المشروعة، نظراً لما ينتج عن انتشاره من تشويه لصورة الحياة، بما يمثله من تعدي على الآخرين وسلب لحقوقهم.

وبسبب الطغيان عانت كثير من الأمم، وذاقت أمتنا خاصة من مرارته وسطوته، فأصابها لهيب ناره، ونزل بأرجائها الخراب والدمار.

ويأتي هذا البحث للحديث عن حقيقة الطغيان، وتسليط الضوء على مجالاته المتعددة، العقدي منها والسياسي والاجتماعي والمالي، ليتسنى الوقوف على جوهر هذا الطغيان كما بينته آيات الرحمن، فيكون المسلم على بصيرة منه، يحذره ويبتعد عنه، ويسعى جاهداً لمقاومته.

وبعد؛ فهذا عملٌ بشريٌّ عرضة لأنْ يعتريه النقص، وقد دُفنت العصمةُ بموت المعصوم ﷺ، فما كان فيه من صوابٍ فمن فضْل الله ﷻ، وما كان من خطأ فمِن نفسي والشيطان، وأستغفر الله ﷻ منه وأتوب إليه، وأساله ﷻ أنْ يكون عملي هذا حجَّة لي لا عليّ، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتدقيق والتحرِّي في الدراسات القرآنية، وجدتُ بعض الدراسات ذات العلاقة بموضوع هذا البحث، ومن أهمها:

1- مفهوم الطغيان والطغاة في القرآن الكريم/ عمار يوسف ميكائيل.

2-الطغيان السياسي وسبل تغييره/ عبد الرحمن عمر اسبينداري.

3- الطغيان في القرآن الكريم/ هلال حزام سند.

4- طغيان الحكام وخفة الشعوب/ عاطف اللحام.

5- الطغاة والطغيان في القرآن/ خالد رمضان عثمان.

وبالنظر في هذه الدراسات يتبين أنها تتناول موضوع الطغيان بشكل عام، وهو ما أفاد منه الباحث في القسم الأول من هذا البحث، عند الحديث عن معنى الطغيان ودلالاته في السياق القرآني. بينما تميز هذا البحث بالاقتصار على دراسة مجالات الطغيان بهدف تبيينها والتحذير منها وبيان سبل مواجهتها.

مشكلة الدراسة

يحاول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما المقصود بالطغيان؟

2- ما المنهجية التي سلكها القرآن الكريم في بيان أسباب ودوافع الطغيان؟

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
تاريخ استلام البحث 2016/4/16، وتاريخ قبوله 2016/8/14.

© 2018 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

3- ما أبرز مجالات الطغيان التي تحدث عنها القرآن الكريم؟

4- ما أبرز أساليب القرآن الكريم لمواجهة الطغيان؟

أهداف الدراسة

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- بيان حقيقة الطغيان، وأسبابه ودوافعه ومجالاته وآثاره، وطرق الوقاية منه.

2- تبصير المسلمين بالطغيان، وحثهم على تجنبه والابتعاد عنه ومواجهته.

3- توعية الناس جميعاً بأن الطغيان عواقبه وخيمة، ونتائجه كارثية على الجميع.

منهجية الدراسة

سار هذا البحث وفق المنهجين الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء وتتبع الآيات القرآنية التي تكلمت عن الطغيان، ثم تحليلها ودراستها والاستدلال عليها من كتب التفسير خاصة، وغيرها من الكتب والمراجع التي أفاد منها الباحث في معالجة هذه القضية.

ويدور هذا البحث في نطاق موضوع مجالات الطغيان من خلال القرآن الكريم، ولا يهدف هذا البحث إلى الاستقصاء، وسيُكتفى فيه بدراسة نماذج مختارة، يتم من خلالها التوصل إلى النتائج المطلوبة.

وقد قسمنا هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

تمهيد: معنى الطغيان ودلالاته في السياق القرآني.

المبحث الأول: الطغيان العقدي.

المبحث الثاني: الطغيان السياسي.

المبحث الثالث: الطغيان الاجتماعي.

المبحث الرابع: الطغيان المالي.

والله تعالى نسأل أن يكون هذا البحث في ميزان حسناتنا يوم نلقاه، وأن يكون فيه الفائدة المرجوة..

تمهيد

معنى الطغيان ودلالاته في السياق القرآني

قبل الحديث عن مجالات الطغيان في القرآن الكريم لا بد من تحديد معنى لفظة (الطغيان) ودلالتها في السياق القرآني.

قال ابن فارس: "الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ منقاس، وهو: مجاوزة الحد في العصيان"[1]. وقال السمين الحلبي: "وأصل الطغيان مجاوزة الحد في كل شيء، وغلب في تزايد العصيان"[2] ويذكر النحاس أن الطاغية والطاغوت مشتقان من الطغيان[3]. وعرف عبد الكريم زيدان الطغيان بأنه: "تجاوز الإنسان حده وقدره، وحد الإنسان هو ما حده الله له من حدود لا يجوز أن يتجاوزها وقدر الإنسان هو ما قدره باعتباره عبداً لله تعالى فتلزمه طاعة سيده ومولاه وبقاؤه في نظام العبودية له"[4].

والطغيان قد يكون في الأمور المادية، كما في قوله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)[الحاقة:11]، يقول الطبري: "إنا لما كثر الماء فتجاوز حدّه المعروف"[5]. وقد يكون في الأمور المعنوية، كما في قوله تعالى: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) [طه:43] قال السعدي: "جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه"[6].

ومن الأمثلة على معنى الطغيان في الشرع قوله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[هود: 112]. قال الزمخشري: "ولا تخرجوا عن حدود الله"[7]. وقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى)[العلق:6]. قال النيسابوري: "ليتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه"[8].

وبالنظر في السياقات القرآنية التي وردت فيها لفظة الطغيان، يمكن ملاحظة الآتي:

1- وردت مادة (طغى) في القرآن الكريم تسعاً وثلاثين مرة، في تسع وثلاثين آية، في سبعٍ وعشرين سورة.

2- عدد الآيات التي تحدثت عن الطغيان في العهد المكي ثلاثون آية، فيما بلغ عددها في العهد المدني تسع آيات فقط، ويرى الباحث أن السبب في ذلك يعود إلى طبيعة العهد المكي الذي كانت تسوده شتى ألوان الشرك والعبودية لغير الله تعالى، التي يعد الطغيان أحد إفرازاتها المباشرة.

3- جاء الطغيان مقترناً بالعمه في خمس آيات[9]، أربعة منها مكية والخامسة مدنية، والسبب في ذلك كما يراه الباحث، يعود إلى أن حالة التردد والتحير في الكفر الباعثة على الطغيان كانت في العهد المكي أكثر منها في العهد المدني؛ لأن العمه يعني: "الحيرة والتردد في الكفر"[10].

4- ورد الحديث عن الطغيان مقترناً باليهود في خمس آيات[11]، وهذا الأمر كما يراه الباحث متعلق بطبيعة وجبلة اليهود، الذين ما انفكت سيرتهم على مدار التاريخ على ممارسة الطغيان والتجبر والعلو في الأرض، وبحق الشعوب الضعيفة. وحالهم في هذه الأيام خير شاهد على ذلك.

5- تكرر وصف فرعون بأنه طغى في ثلاث آيات[12]، وفي هذا التكرار دلالة واضحة على تجاوزه وعلوه وجبروته، وملازمة هذا الوصف له في جميع مراحل حياته، حتى عندما غشيه الغرق في لحظاته الأخيرة (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) [يونس:90]، ولم يقل آمنت برب العالمين أو

بالله مثلاً.

6-جاء التحذير من الطغيان في آية واحدة[13]، موجهاً إلى النبي عليه السلام ومن تاب معه من المؤمنين، في إشارة إلى أن ممارسة الطغيان ليست مقتصرة على فئة بعينها، وأن الطغيان قضية ينبغي على المؤمن الحذر منها.

7-وردت كلمة الطاغوت ثماني مرات[14] في الآيات السابقة ويراد بها الشيطان[15]، أو الأصنام، أو كل ما عبد من دون الله[16]، أو كعب بن الأشرف وحُيي بن أخطب[17]، أو كل من حكم بغير شرع الله[18].

8-بينت الآيات أن عاقبة الطغيان وخيمة على صاحبها في الدنيا والآخرة. وهذا واضح في قوله تعالى: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)[الفجر:1311]. أيْ "فأنزل عليهم رجزًا من السماء وأحل بهم عقوبة، لا يردها عن القوم المجرمِينَ"[19]. فكان هذا العذاب جزاءً لهم على طغيانهم وفسادهم. وكذلك العقاب الذي حلّ بآل نوح نتيجة طغيانهم وكفرهم، كما في قوله تعالى: (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى)[النجم:52] أي "أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشدّ ظلماً لأنفسهم، وأعظم كفراً بربهم، وأشدّ طغياناً وتمرّداً على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغياناً من غيرهم من الأمم"[20].

9-وردت كلمة (طغى) بألف مقصورة في سياق الحديث عن طغيان وتجبر فرعون، بينما وردت كلمة (طغا) بألف ممدودة في سياق الحديث عن تجاوز وارتفاع الماء، وفي ذلك إشارة إلى أن طغيان البشر كما هو في حالة فرعون، يختلف عن طغيان المادة كما هو الحال في الماء. وقد ذكر الفيروز آبادي أن الفرق اللغوي بينهما يكمن في أصل الألف، ففي الأولى (طغى أو طَغِيَ) أصل الألف فيها ياء، أما في الثانية (طغا) فأصل الألف فيها واو[21].

وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ أخرى ذات صلة بمعنى الطغيان، وهي تلتقي مع معنى الطغيان في مجال وتخالفه في مجالات أخرى لأنه لا ترادف في القرآن، وأهم هذه الألفاظ:

1-العتو: وقد وردت كلمة العتو في القرآن الكريم في ثماني آيات[22]، دلت في جميعها على التجاوز في الحد أو القدر، ومنها قوله تعالى في سورة الفرقان: (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا)[الفرقان:21].

2-العلو. وقد ورد لفظ العلو ومشتقاته في القرآن الكريم سبعين مرة[23]. حيث ارتبطت صفة العلو بالطغاة على مر العصور، فقد وسم الله سبحانه وتعالى فرعون بهذه الصفة، قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ)[القصص:4] أي: استكبر وتجبر وتعظم وبغى في أرض مملكته، فقد طغى وجاوز الحدّ في الظلم[24]، كما وسم الله تعالى بها بني إسرائيل، فإن فسادهم وعلوهم مستمر في الأرض، قال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا)[الإسراء:4] أي: متكّبرين قاهرين غيرهم بالظلم[25].

3-العدوان. وقد ورد العدوان في القرآن الكريم في مائة وست آيات[26]، وجاء بمعنى تجاوز الحد في الشر[27] وتجاوز العدالة[28] وتجاوز الحد من الحق إلى الباطل[29]وتَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي غَيْرِ مَا يجب[30]. وقد جاء العدوان عند عدد من المفسرين بمعنى مجاوزة الحد[31]، كما في قوله تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[الأنعام:108].

4-البغي. وقد وردت كلمة البغي ومشتقاتها (115) مرة في القرآن الكريم[32]، وجاء بمعنى مجاوزة الحد، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[البقرة:173] أي: "الظلم والكبر والإستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله"[33].

5-الظلم. وقد وردت لفظة الظلم ومشتقاتها (315) مرة في القرآن الكريم، لكن في (26) مرة منها كانت بمعنى الظُلمة وليس الظلم المراد[34]. وجاءت بمعنى الزيادة والتجاوز، كما في قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)[الأنعام:21]. "والظلم هنا كناية عن الشرك، في صورة التفظيع له والتقبيح... وذلك حين يريد أن يبشع الشرك وينفر منه. ذلك أن الشرك ظلم للحق، وظلم للنفس، وظلم للناس. هو اعتداء على حق الله- سبحانه- في أن يوحد ويعبد بلا شريك. واعتداء على النفس بإيرادها موارد الخسارة والبوار. واعتداء على الناس بتعبيدهم لغير ربهم الحق، وإفساد حياتهم بالأحكام والأوضاع التي تقوم على أساس هذا الاعتداء"[35].

ومن خلال النظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الطغيان بشتى معانيه، يرى الباحث أنها اشتملت على عدة مجالات، وأنها تدور في دوائر مختلفة، لكل واحدة منها انعكاساتها وتأثيراتها السلبية على الطغاة. وفي هذا البحث سيتم التطرق إلى أهم هذه المجالات؛ بغرض تسليط الضوء عليها، ومعرفة معالمها وسماتها. والمجالات التي سيتم تناولها في هذا البحث هي:

1. الطغيان العقدي

2. الطغيان السياسي
3. الطغيان الاجتماعي
4. الطغيان المالي

المبحث الأول
الطغيان العقدي

يتناول الباحث من خلال هذا المبحث خطورة الطغيان العقدي، وأبرز ملامحه التي تجلت في شخصية فرعون، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: خطورة الطغيان العقدي وآثاره السلبية عبر التاريخ

يظهر من خلال آيات القرآن الكريم أن الطغيان العقدي كان حاضراً في كثيرٍ من المواضع القرآنية، سواء ما كان منه متعلق بالأقوام أم الأفراد، ففي قوله تعالى: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[البروج:8]، يظهر من خلال الآية أن التعذيب والنقمة التي ستقع على هذه الفئة من الناس، كانت بسبب إيمانها اللاحق، بدليل قوله: (إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا)[البروج:8] لأن التعذيب إنما كان مترتباً على الإيمان في المستقبل، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى[36].

فمنذ بزوغ دعوة الإيمان وأصحابها يُقتّلون ويُعذبون ويُطاردون من قبل الطغاة العصاة، فها هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام يُلقى في النار ويعذب فيها؛ بسبب إيمانه بالله ودعوته لقومه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُذكرهم بنعم الله عليهم، وما أحلّ من عقاب بمن سبقهم من الأمم لعلهم يتذكرون أو يعتبرون، ولكنه الحقد والكبر والعناد يصدهم ويمنعهم من الاستجابة والتسليم لنداء الفطرة ونداء الإيمان، فما كان منهم إلا أن (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)[الأنبياء:68]. وقصة بلال بن رباح مع الطاغية أمية بن خلف الذي أذاقه من العذاب ما لا يُحتمل، حيث طرحه على الرمال الملتهبة في وقت الظهيرة، ومن ثم كان يأمر رجاله بوضع صخرة كبيرة على صدره لرده عن دينه وإيمانه، فيرفض ذلك مردداً (أحدٌ أحد)[37] معلناً تمسكه بدينه وعقيدته.

وها هم طغاة اليهود قديماً وحديثاً يبطشون بأهل الحق والإيمان؛ بسبب إيمانهم بالله تعالى، قال تعالى: (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)[المائدة:59]، فجاء التوجيه من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بأن يسأل أهل الكتاب عن سبب استهزائهم بدين الله تعالى، وعن لجوئهم إلى الهمز واللعب عند مناداة المسلمين للصلاة، هل هو ناشئ عن إقرارنا بالله تعالى وتوحيدنا إياه، وبما جاءنا من عند الله من الكتاب، وما أُنزل على أنبياء الله من الكتب؟ ولكن أكثرهم مخالفون أمر الله، خارجون عن طاعته، يكذبون عليه[38].

ولم تكن صورة الطغيان هذه مقتصرة على فرعون فحسب، بل ما من طاغية ومتجبر في الأرض إلا وادعى لنفسه صفة من صفات الألوهية، حتى تستقيم له الأمور، ويمسك بزمام رعيته، ويسهل عليه قيادتها، وفرض سيطرته وعلوه عليهم، ومن ثم التصرف في أحوالهم وفق هواه ومشتهاه، وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى وجود هؤلاء الطغاة في كل أمة بعث فيها رسول، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[النحل:36]، فهؤلاء الطغاة "يسترهبون النّاس بالتّعالي الشّخصي والتّشامخ الحسّي، ويُذلّلونهم بالقهر والقوّة وسلبِ الأموال حتّى يجعلونهم خاضعين لهم، عاملين لأجلهم، يتمتّعون بهم كأنّهم نوع من الأنعام التي يشربون ألبانها، ويأكلون لحومها، ويركبون ظهورها، وبها يتفاخرون"[39].

يا لها من وقاحة، وإهدار لكرامة الإنسان، وسلب لحريته، حتى يصبح كالحيوان لا رأي له ولا عقل، ولا قيمة له ولا اعتبار في الحياة، فكم جنى الطغاة المتكبرون على كرامة الإنسان، وانسلخوا عن كل دين، وتجردوا عن كل خلق وعفة وشرف.

ويستمر الطغاة في قهرهم لشعوبهم، "إلى نقطة أنْ يلتبس عليهم الفرق بين الإله المعبود بحقّ وبين المستبدّ المُطاع بالقهر، فيختلطان في مضايق أذهانهم من حيث التّشابه في استحقاق مزيد التّعظيم، والرِّفعة عن السّؤال وعدم المؤاخذة على الأفعال؛ بناءً عليه؛ لا يرون لأنفسهم حقّاً في مراقبة المستبدّ لانتفاء النّسبة بين عظمته ودناءتهم؛ وبعبارة أخرى: يجد العوام معبودهم وجبّارهم مشتركيْنِ في كثيرٍ من الحالات والأسماء والصِّفات، وهم ليس من شأنهم أنْ يُفرِّقوا مثلاً بين (الفعَّال المطلق)، والحاكم بأمره، وبين (لا يُسأل عمّا يفعل) وغير مسؤول، وبين... (المنعم) ووليّ النعم، وبين (جلَّ شأنه) وجليل الشَّأن. بناءً عليه؛ يُعظِّمون الجبابرة تعظيمهم لله، ويزيدون تعظيمهم على التَّعظيم لله؛ لأنَّه حليمٌ كريم، ولأنَّ عذابه آجلٌ غائبٌ، وأمَّا انتقام الجبَّار فعاجلٌ حاضر. والعوام – كما يقال – عقولهم في عيونهم، يكاد لا يتجاوز فعلهم المحسوس المُشاهَد، حتَّى يصحّ أنْ يُقال فيهم: لولا رجاؤهم بالله، وخوفهم منه فيما يتعلَّق بحياتهم الدّنيا، لما صلّوا ولا صاموا... وهذه الحال؛ هي التي سهَّلت في الأمم الغابرة المنحطَّة دعوى بعض المستبدِّين الألوهية على مراتب مختلفة، وفق استعداد أذهان الرَّعية، حتَّى يُقال: إنَّه ما من مستبدٍّ سياسيّ إلى الآن إلا ويتَّخذ له صفة

قدسيّة يشارك بها الله، أو تعطيه مقامَ ذي علاقة مع الله. ولا أقلَّ من أنْ يتَّخذ بطانة من خَدَمَةِ الدِّين"[40].

ومن الأمثلة التي تظهر فيها حالة الطغيان العقدي أيضاً، ما ورد في الحديث الصحيح من قصة الغلام والساحر[41]، التي يظهر من خلالها ادعاء الملك للربوبية ومعاقبة كل من ينكر عليه ذلك، معاقبة لا يتصورها عاقل، ولا يتخيلها بشر، وتفوق في بشاعتها وعظم شؤمها كل حساب. وهذا هو ديدن الطغاة في كل زمان ومكان، فتراهم يلجأون إلى معاقبة مخالفيهم وناقديهم ومعارضيهم بأبشع صور التعذيب والتنكيل. قتل وتشريد وترويع، وسجن واضطهاد وتعذيب، ومصادرة للحقوق ومنع للحريات، إلا أن كلمة الفصل تقول: "قد ينسى الطواغيت المستبدون أو يتناسون أنهم لا بد سيشربون من الكأس: كأس المنية. كأس الرجوع إلى الله تعالى، يتناسون ذلك فيتجبرون ويطغون ويبطشون ويعذبون، والزمن عجلته تسير بمشيئة الواحد القهار، وبتعاقب الليل والنهار، وتولد أجيال وتنقضي أعمار، وتبلى أجساد وتنزع أرواح انتزاعاً فلا يستطاع ردها. (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[الواقعة:8783]"[42].

وبهذا يتبين أن ادعاء الألوهية والربوبية، وإضفاء القداسة على الأفعال والأقوال، سمة بارزة في سيرة الطغاة على مدار التاريخ، وأنهم لا ينفكون عنها أبداً، ويمثل هذا الادعاء ذروة الطغيان العقدي لديهم، وقمة التعدي وتجاوز الحدود.

المطلب الثاني: أبرز ملامح الطغيان العقدي عند فرعون

وقد تجلت صورة الطغيان العقدي بكل معالمها في شخصية فرعون وذلك من خلال عدة صور:

أولاً: ادعاؤه الربوبية

ادّعى فرعون الربوبية، وهذا ما جاء في قوله تعالى: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)[النازعات:24]، أي لا رب لكم فوقي، مع وجود الأصنام التي كانوا يعبدونها. وهذا الذنب العظيم لم يقل به أحد قبله[43]. ويبين سيد قطب السبب في كلامه هذا، وقبول الجماهير لقوله بأنه: "قالها الطاغية مخدوعاً بغفلة جماهيره، وإذعانها وانقيادها. فما يخدع الطغاة شيء ما تخدعهم غفلة الجماهير وذلتها وطاعتها وانقيادها. وما الطاغية إلا فرد لا يملك في الحقيقة قوة ولا سلطاناً. إنما هي الجماهير الغافلة الذلول، تمطي له ظهرها فيركب! وتمد له أعناقها فيَجُر! وتحني له رؤوسها فيستعلي! وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغى! والجماهير تفعل هذا مخدوعة من جهة وخائفة من جهة أخرى. وهذا الخوف لا ينبعث إلا من الوهم. فالطاغية وهو فرد لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف والملايين، لو أنها شعرت بإنسانيتها وكرامتها وعزتها وحريتها. وكل فرد فيها هو كفء للطاغية من ناحية القوة، ولكن الطاغية يخدعها فيوهمها أنه يملك لها شيئاً! وما يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة أبداً. وما يمكن أن يطغى فرد في أمة رشيدة أبداً. وما يمكن أن يطغى فرد في أمة تعرف ربها وتؤمن به وتأبى أن تتعبد لواحد من خلقه لا يملك لها ضراً ولا رشداً! فأما فرعون فوجد في قومه من الغفلة ومن الذلة ومن خواء القلب من الإيمان، ما جرؤ به على قول هذه الكلمة الكافرة الفاجرة"[44].

ثانياً: ادعاؤه الألوهية

فهو بهذا الادعاء الباطل يمثل طغياناً لم يسبقه إليه أحد من البشر، قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غيري)[القصص:38]، أي وزعم فرعون أمام قومه من الأشراف والأتباع على سبيل الخداع والكذب والفجور. أني ما علمت لكم من إله سواي. وهذا نابع من حالة الطغيان والغرور التي بلغها، فكأنه يقول زاعماً: إني لم أعلم بأن هناك إلهاً لكم سواي، ومالا أعلمه فلا وجود له[45].

فقد بلغ فرعون ما بلغ من الطغيان والكفر عندما أعلن بصريح العبارة أنه الإله الذي لا إله غيره، ولجأ لإثبات زعمه هذا طالباً من مساعده الأيمن هامان أن يقيم له صرحاً شامخاً، يثبت للرعية من خلاله أنه الإله، فقال مخاطباً قومه كما بين القرآن الكريم بقوله: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [القصص:38]، أي "يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى.. كلمة فاجرة كافرة، يتلقاها الملأ بالإقرار والتسليم. ويعتمد فيها فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة. ثم على القهر، الذي لا يدع لرأس أن يفكر، ولا للسان أن يعبر. وهم يرونه بشرا مثلهم يحيا ويموت، ولكنه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب!"[46].

ثالثاً: ادعاؤه الاستئثار بمعرفة الخير والهداية

لم يقتصر طغيانه على ادعاء الألوهية والربوبية فحسب، بل تمادى في طغيانه وتجبره مدعياً لنفسه وحدها معرفة الخير والهداية، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)[غافر:29]، وهذه طبيعة الطغاة دوماً، فإنهم يدعون لأنفسهم مالا يشاركهم فيه أحد، وليس هذا الأمر بغريب عنهم، وهنا" نجد فرعون يتحدث عن نفسه حديث المخلص لقومه الساعي لمصلحتهم فيقول: إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صوابًا

وأعتقده نافعًا، وهل يرى الطغاة أفعالهم إلا أنها الخير والرشاد؟ فالخير والرشاد في مفهوم أولئك المجرمين، أن ينالوا شهواتهم وملذاتهم كاملة دون نقص، ولو فنيت الأمة كلها، أما لو كانوا يسعون في مصلحة الأمة كما يدعون، لسمحوا للأمة أن تقول لهم أنتم مخطئون، وأنتم غير صالحين للقيادة فتنحوا عنها، وأعطوا القوس باريها، ولكن الحاصل من الطغاة من فرعون الغابر إلى فراعنة العصر الحاضر، أنهم لا يسمحون لأحد أن يرى رأيا يخالف رأيهم، أو أن يقول كلاماً يخالف قصدهم، ولو لم يكونوا بهذا الوصف لما كانوا طغاة مستبدين وفراعنة مجرمين "[47].

المبحث الثاني
الطغيان السياسي

يعدّ الحديث عن الطغيان السياسي حديثاً مهما، خاصة في ظل الظروف التي تمر بها البشرية اليوم، وذلك بسبب المعاناة المتفاقمة، والآلام المتواصلة، الناتجة عن ظاهرة الطغيان السياسي التي تغطي مناحي الأرض كلها، فلم يعد هناك قطر من أقطار الدنيا إلا ويتلظى بحمم هذا الطغيان اللاهب، والناجم عن ممارسات وإجراءات القادة والزعماء والمسؤولين، الذين يشغلون المواقع السياسية في بلدانهم، ويحتكرون فيها القرار والرأي، ويتصرفون في شؤونها الداخلية والخارجية دون حسيب ولا رقيب.

المطلب الأول: الطغيان السياسي ظاهرة قديمة

لا تعد هذه الظاهرة حادثة على عالمنا المعاصر، بل هي ضاربة جذورها عبر تاريخ الأمم، وقد تحدث القرآن الكريم في كثير من الآيات عن هذه الظاهرة، دون التعرض لأسماء وشخوص هؤلاء الطغاة وأماكن تواجدهم. فالطغاة هم أنفسهم في جبروتهم وعلوهم وإجرامهم، وهم عبارة عن عملة واحدة بوجوه متنوعة، وهذا ما أشار إليه المولى سبحانه وتعالى في وصفه لهؤلاء الطغاة: (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [الذاريات:53]، وما أجمل ما قاله الأفغاني، وهو يصف هذا الواقع: "فكلما قضى فرعون تقمص بآخر، وكلما انقرضت عائلة فرعونية ادعت إرثها عائلة، وجاءت ولو من وراء البحار، والتصقت بالنسب الفرعوني ولو بأقل مشابهة من خلق الغطرسة والتأله على النّاس"[48]، وهذا يدل على وجود خطط وحيل لدى الطغاة، يتواصون بها فيما بينهم، فيمضي الطاغوت اللاحق على خطى الطاغوت السابق، وكأنهم بذلك ينهلون بها من معينها الأول فرعون، فيتواصون بما يحقق لهم غاياتهم ومصالحهم، من خلال استخفافهم بأقوامهم وشعوبهم، بعد زيغهم عن منهج الله تعالى، وخروجهم عن طاعته، وبلوغهم درجة الفسوق.

المطلب الثاني: أثر الطغيان السياسي على الفرد والمجتمع

ينتج عن شيوع حالة الطغيان السياسي في أي مجتمع كان آثاراً سيئة تصيب الفرد والمجتمع على حد سواء، وقد بين القرآن الكريم بعض تلك الآثار من خلال حديثه عن طغيان فرعون السياسي، نظراً لما كان يمثله من موقع سياسي متقدم داخل المؤسسة الحاكمة التي كان يقف على رأس هرمها حينئذ، قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)[القصص:٤]، فلا شك في أن وجود الطغيان أو الاستبداد الذي هو صورة من صور الطغيان كما يسميه البعض[49]، يترتب عليه مخاطر جمّةً ومفاسد عظيمةً على الفرد والمجتمع، كما بين ذلك الدكتور يوسف القرضاوي موضحاً أن "من أعظم هموم الوطن العربي والإسلامي هو الاستبداد، والاستبداد السياسي، خاصة استبداد فئة معينة بالحكم والسلطان، برغم أنوف شعوبهم، فلا هم لهم إلا قهر هذه الشعوب حتى تخضع، وإذلالها حتى يسلس قيادها، وتقريب الباحثين بالباطل، وإبعاد الناصحين بالحق. هذا الاستبداد خطر على الأمة في فكرها وفي عن طريق المؤسسات التعليمية والإعلامية والتثقيفية والترفيهية والتشريعية، وجلها – إن لم يكن كلها – في يد الدولة. ولكن الذي أؤكده أن الإسلام أول شيء يصيبه الأذى والضرر البالغ من جراء الاستبداد والطغيان. أخلاقها، وفي قدرتها على الإبداع والابتكار، وإن كان الاستبداد اليوم أشد خطراً من قبل؛ لما أصبح في يد السلطة من إمكانات هائلة تستطيع بها أن تؤثر على أفكار الناس وأذواقهم وميولهم، وتاريخنا الحديث والمعاصر ينطق بأن الإسلام لا ينتعش ويزدهر، ويدخل إلى العقول والقلوب، ويؤثر في الأفراد والجماعات، إلا في ظل الحرية التي يستطيع الناس فيها أن يعبروا عن أنفسهم، وأن يقولوا: (لا) و(نعم) إذا أرادوا ولمن أرادوا، دون أن يمسهم أذى أو ينالهم اضطهاد. كما أثبت التاريخ الحديث والمعاصر أن الدعوة إلى الإسلام إنما تضمر وتنكمش حين يطغى الاستبداد، أو يستبد الطغيان"[50].

المطلب الثالث: دور أعوان الطغاة (الملأ) في الطغيان السياسي

لا تصور لوجود الطغاة دون أعوانهم، من رجال السياسة والدين والاجتماع والاقتصاد والإعلام وغيرهم، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الفئة، التي غالباً ما يعبر عنها بلفظ الملأ، وهم

"عَيْن الأعيان وأصحاب السلطة والنفوذ في القوم، والذين يضايقهم المنهج الإيماني، ويقضي على مكانتهم، ويقف في وجه طغيانهم وسيطرتهم واستضعافهم للخلق"[51]. ومن هذه الآيات قوله تعالى: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ)[القصص:20]، كما أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى وجود بطانتين دوماً، تأمر إحداها بالمعروف وتحض عليه، وأخرى تأمر بالشر وتحض عليه، قال عليه السلام: "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر، وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى"[52]، فيلاحظ في بعض الآيات التي تحدثت عن فرعون، وجود ارتباط وثيق بينه وبين هؤلاء الملأ من حوله، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية وجودهم، ودورهم الفعال في قيام أنظمة الطغيان. فانظر إلى الطغاة عبر التاريخ، وفي واقعنا المعاصر، هل كان لهم وجود دون بطانة السوء من حولهم، وما هو الدور المناط بهم من قبل هؤلاء السادة؟.

ومن هنا فإن حالة الطغيان السياسي التي تعاني منها الأمة اليوم، وسائر أهل الأرض، ليست بالأمر الطارىء والوليد، بل هي ظاهرة متكررة عبر التاريخ، فما من أمة أرسل فيها رسول إلا وكان من واجب المرسلين تحذير أممهم من الطغاة، ودعوتهم إلى ضرورة اجتنابهم، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[النحل:٣٦] وفي هذا دلالة واضحة على وجود الطغيان لدى جميع الأمم، قال تعالى متحدثاً عن طغيان فرعون: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)[طه:43]، وعن طغيان قوم نوح: (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى)[النجم:52]، ويتجدد الطغيان السياسي في كل أمة بصور ومسميات وشخوص متنوعة، لها نفس الصفات من العلو والتجبر والاستكبار، ولها نفس النتائج من القتل والتشريد والفساد، تمضي فيهم سنة الله تعالى من العذاب والعقاب، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)[الفجر: ٦-١٤].

المبحث الثالث
الطغيان الاجتماعي

حرص الإسلام منذ بزوغ فجر الدعوة، على ترسيخ مبادىء العدل والقيم والمساواة بين أفراد المجتمع، التي تحفظ المجتمع وتحفظ أبناءه من كل ما يهدد وجودهم، ويعمل على تشتيتهم ونشر الخلاف والفرقة فيما بينهم، وفي الوقت نفسه نهى عن كل سلوك يقود إلى الظلم والطغيان، وذلك بهدف إنشاء مجتمعٍ مسلمٍ متميزٍ عن المجتمعات الأخرى؛ لكي يقوم بتأدية رسالته التي أنيطت به على أتم وجه، ومن ثم يحقق مفهوم الخلافة في الأرض التي كلفه الله تعالى بها، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[آل عمران:110] أي أنهم خير الأمم وأفضلها، وأنفع الناس للناس، وأكثرهم حسناً وإحساناً[53].

إن متانة المجتمع وقوة الرابطة بين أبنائه، وخلوه من كل مظاهر الفتن والفساد، وجميع صور الجور والطغيان، تُعدّ مطالب أساسية لكي يتمكن المجتمع من القيام بتأدية رسالته وواجباته. إلا أن المجتمع قد تعترضه بعض الأحداث، وتسوده بعض السلوكيات، التي تؤثر في تماسكه ووحدته، وتهدد سلامته وتجعله عرضة للمخاطر والمهالك، ويرى الباحث أن تلك الأحداث والسلوكيات التي تقع في المجتمعات تمثل في حقيقتها ظاهرة الطغيان الاجتماعي التي يجب اجتنابها والوقاية منها.

ويرى الباحث أن هناك العديد من مشاهد الطغيان الاجتماعي التي تسود المجتمع، التي هي عبارة عن صورة من صور الظلم المنهي عنه، وذلك لأن الظلم يعد من الألفاظ ذات الصلة بالطغيان ، ومن صور الظلم الناشئة في المجتمع والحاملة على الطغيان الاجتماعي ما يلي:

المطلب الأول: ظلم الأفراد

نهى القرآن الكريم عن جميع حالات الظلم الناجمة عن تصرفات أفراد المجتمع تجاه بعضهم البعض، لأنها تعد طريقاً باعثاً على الطغيان الاجتماعي؛ نتيجة التجاوز والخروج عن الحد المشروع، ومن تلك التصرفات المنهي عنها:

أولاً: العدوان

نهى الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات عباده المسلمين عن جميع صور العدوان، قال تعالى: (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[البقرة:190]، وذلك لأن الاعتداء على الناس وظلمهم وأكل حقوقهم، ومصادرة ممتلكاتهم وحرياتهم، أمر لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه، حتى في حالة الاعتداء على المسلمين فإن المشروع لهم رد العدوان بالمثل وعدم التجاوز في ذلك، قال تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)[البقرة:194]، كما نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن جميع أشكال العدوان، كما جاء في الحديث النبوي: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد

الغائب»[54]، ومنعاً للعدوان وسداً لكل منافذ شيوعه في المجتمع، فقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بضرورة الابتعاد عنه واجتناب كل ما يفضي إلى وقوعه، حتى وإن كان أمراً يسيراً لا يلتفت إليه، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[55]، وقد تكاثرت النصوص القرآنية والنبوية في هذا الشأن، والغاية من ذلك أن يكون المجتمع والصف المسلم طاهراً نظيفاً وآمناً من كل مظاهر الفتن وأشكال العدوان المختلفة؛ لأن شيوع الفتن وظهور العدوان يُخرج من أبناء المجتمع من يطغى ويتكبر ويتجبر على الضعفاء والفقراء منهم، وهذا الطغيان والتكبر لا يقبله الإسلام ولا يهادنه، بل يقاومه ويحاربه ويقضي على كل مظاهره، ويعمل على تجفيف منابعه.

ثانياً: السخرية والتنابز بالألقاب

حتى تستقيم حياة المسلمين وتسودها أجواء من السكينة والطمأنينة، نهى الشارع الحكيم المسلمين عن جميع مظاهر السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب فيما بينهم؛ لما يترتب على شيوع هذه الأخلاق الفاسدة من مخاطر تهدد بنيان المجتمع، وتضر بسلْم أفراده وترابطهم، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[الحجرات:11]، أي أن"المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن، مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس؛ لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتها واحدة...وقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف... ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!"[56].

إن شيوع هذه الأخلاق الذميمة بين أفراد المجتمع المسلم، يجعل بعضهم يتعالى على بعض، ويستكبر كبيرهم على صغيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وغنيهم على فقيرهم، وبالتالي يَضْحى المجتمع عبارة عن طبقات تستعلي إحداها على الأخرى، وتبطش بها وتتسلط عليها، وفي هذا السلوك يتجسد التجاوز والطغيان في المجتمع، ومن ثم يفقد الناس الأمن والاستقرار، وتسلب كرامتهم وحريتهم، من قبل من طغى وتكبر عليهم.

ثالثاً: التجسس والظن والغيبة

أوصى الإسلام المسلمين بضرورة الابتعاد عن التجسس، واجتناب الظن والغيبة فيما بينهم، وقاية لهم من العذاب، وحفاظاً على نسيج مجتمعهم وكيانهم؛ لأن شيوع هذه الأمراض القاتلة في المجتمع تؤدي إلى تفككه وضعفه، والإضرار بأهله، قال تعالى محذراً عباده المؤمنين من هذه الأخلاق السيئة وضرورة اجتنابها: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) [الحجرات:12]، وكذلك حذر رسول الله عليه الصلاة والسلام المسلمين من مساوىء هذه الأخلاق ونهاهم عنها، فقال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»[57]، والأصل في علاقة المسلم بأخيه المسلم أن تكون قائمة على المحبة والألفة، وأن تتحقق فيها توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام القائل: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا_ ويشير إلى صدره ثلاث مرات_ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[58].

فإذا خلا المجتمع المسلم من الأخلاق الحسنة والكريمة، وحلت مكانها الأخلاق الدنيئة والوضيعة، فإن حالة الظلم والضنك والطغيان تغشاهم، وبالتالي يصبح عرضة للهلاك والخسران والدمار، كما قال تعالى في كتابه العزيز: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[النمل:52].

المطلب الثاني: ظلم الأسرة

جاء الإسلام بقواعد وضوابط تنظم العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة؛ حتى تكون لبنة صالحة من لبنات المجتمع، تسهم في استقراره وقوته، وتعين على أداء رسالته، إلا أن بعض التصرفات الناجمة عن تعامل أفراد الأسرة فيما بينهم، تؤثر في سلامة المجتمع وترابطه، ومن تلك التصرفات التي جاء الإسلام لمحاربتها وتطهير المجتمع منها:

أولاً: ظلم الأبناء

كرّم الإسلام الأبناء وأوصى الآباء بهم وبحسن رعايتهم، وعدّهم أمانةً في أعناق الآباء، يتوجب عليهم القيام بواجبهم تجاههم وعدم إهمالهم، وحفظهم ورعايتهم حق الرعاية، ووقايتهم مما يكون سبباً لدخولهم النار يوم القيامة، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[التحريم:6]، وطالبهم بأمر أبنائهم بالصلاة والإصطبار

عليها، قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [طه:132]، وقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام على هذه المعاني بقوله: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»[59]، إلا أن بعض الآباء قد يقصر في حفظ الأمانة ويظلم أبناءه، ويجور عليهم ويتعسف بهم، ومن صور هذا الظلم الذي يمارسه الآباء بحق أبنائهم ما يلي:

الصورة الأولى: عدم التربية السليمة

إن تقصير الآباء القيام بتربية أبنائهم التربية السليمة التي أمروا بها، وعدم القيام بواجبهم المفروض عليهم تجاه أبنائهم يكون مدعاة لنشوء جيلاً في المجتمع ليس له من الأخلاق الإسلامية نصيب، وليس له من الإلتزام بتعاليم الشريعة حظ، فلينتج عنه جيل يرضى بشيوع الفساد والإنحلال وسوء الأخلاق، ولديه القابلية للبغي والفجور والعدوان، وجميعها أخلاق تؤدي في نهاية الأمر إلى طغيان وفسوق أصحابها.

من هنا يتحمل الآباء المسؤولية الكبرى في تربية وتنشئة الأبناء التنشئة السليمة، التي تجعل منهم أبناء صالحين في أنفسهم مصلحين لغيرهم، فالأبناء يولدون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لكن المؤثرات الخارجية من آباء ومجتمع وغيرها قد تؤثر في تنشئة الأبناء بشكل سلبي.

وأول أمر ينبغي تعليمه للأبناء وحثهم عليه، بعد إيمانهم بالله تعالى يتمثل في إقامة الصلاة، واتباع شرعه ونهجه، والاقتداء بسنة نبيه الحسنة، قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)[طه:132]، وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[الأحزاب:23]، ومن ثم تربيتهم على الأخلاق الحسنة، حتى يكونوا منارات مضيئة في مجتمعهم، تنشر الخير وتحبب الناس إليه، وتقدم القدوة الحسنة وتدعو الناس إليها، ولنا في لقمان عليه السلام القدوة والأسوة الحسنة في تربية الأبناء، وتوجيههم نحو ما يعود عليهم بالخير في الدنيا، والفلاح في الآخرة، قال تعالى: (يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)[لقمان1917].

فإذا أحسن الوالدان تربية الأبناء؛ فإن ذلك يعود عليهم وعلى الأسرة بالخير العظيم في الدنيا والآخرة، ويحفظ المجتمع من كل عناصر الهدم والسوء، ويبقيه مجتمعاً صالحاً تحرسه الأخلاق والقيم.

الصورة الثانية: التمييز بين الأبناء

ساوى الإسلام بين الناس جميعاً، ذكرهم وأنثاهم، كبيرهم وصغيرهم، أسودهم وأبيضهم، وجعل التقوى معيار التفاضل بينهم، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[الحجرات:3]، لذا فإن التفضيل بين الناس والتمييز بينهم دون وجه حق ومسوغ مشروع، يترتب عليه مساوئ ومفاسد تصيب المجتمع في مقتل، ومن صور التفضيل التمييز بين الأبناء وعدم المساواة بينهم مما ينتج عنه مشاكل كثيرة، تعود بالضرر على الأسرة أولاً، وعلى عموم المجتمع ثانياً؛ لذا أوصى نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام الآباء بضرورة العدل بين الأبناء، ففي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أنه قال وهو على المنبر: "أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟»، قال: لا، قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، قال: فرجع فرد عطيته"[60].

والمتأمل في أحوال الكثير من الآباء في هذه الأيام، يجدهم يفضلون بعض الأبناء على بعض في الهبات والمنح وغيرها؛ مما يؤدي إلى زرع بذور الخلاف بينهم، فيحقد أحدهم على الآخر، فتصبح المفاضلة بين الأبناء في الأعطيات وغيرها سبباً يدفعهم لعقوق والديهم، وعدم طاعتهم والإحسان إليهم، إضافةً إلى ذلك فإنها تكون سبباً لأن يتعالى الأخ على أخيه، ويتكبر ويطغى عليه بسبب ما نال من أعطيات وهبات، وكفى بهذا التمييز فرقةً وشقاءً في الدنيا، وإثماً وعذاباً في الآخرة.

2- ظلم الزوجة

أرسى الإسلام مجموعة من الأحكام والتشريعات، التي تحفظ حقوق الزوجة وتصونها من كل ما من شأنه أن يعود عليها بالضرر والإجحاف، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)[النساء:1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرا»[61]، فالزوجة تحتل مكانة رفيعة في الأسرة والمجتمع، لذا تعددت النصوص التي

تحض على رعايتها وصونها ومنحها كامل حقوقها، وعدم ظلمها وإلحاق الضرر بها في أي صورة كانت.

ولكن هناك من يطغى فيظلم الزوجة ويعتدي عليها، ويمنعها حقوقها ويسيء إليها، ويخدش كرامتها ويجرح مشاعرها، فلا يمتنع بعض الأزواج وللأسف من الاعتداء على زوجاتهم، وضربهن بشكل عنيف، يلحق بهنّ الضرر، فتجده يقوم بضربها بصورة مستهجنة، يؤذي الجسد، ويمزق الشعر، ويسيل الدم، وكأنه في ساحة مواجهة مع خصم لدود، وقد نهى الإسلام عن كل ذلك، قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[النساء:19]، وقال عليه الصلاة والسلام ناهياً المسلمين عن ضرب المرأة بطريق مؤلمة: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم»[62]، فمن فعل ذلك فقد خالف هدي النبي عليه الصلاة والسلام في معاملته لأهله، فقد وصفت عائشة رضي الله عنها حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله قائلة: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل»[63].

فعدم الإحسان للزوجة واللطف في معاملتها ومعاشرتها، وحرمانها من كافة حقوقها أو بعضها، كل ذلك يعدّ من الطغيان لما فيه من تجاوز لحدود الشرع.

ثالثاً: ظلم المجتمع

تسود المجتمع بعض حالات الظلم التي ينتج عنها آثار سيئة تصيب عموم أفراد المجتمع، ومن هذه الحالات:

1- عدم الوفاء بالعهود والمواثيق

أوصى الإسلام المسلمين بضرورة الوفاء بالعهود والمواثيق وعدم نقضها أو الإخلال بها، وشدّد على أهمية حفظها وإنفاذها، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة:1]، وقال تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)[الإسراء:34]، وهنا يخاطب الله تعالى المسلمين بالوفاء بالعقود التي بينهم وبين الناس، لأنه تعالى سائلهم عن نقض العهود، فلا يجوز لهم نقض العهود الجائزة بينهم، وبين من عاهدوهم من الناس، ولا يجوز لهم أن يغدروا أحداً من الناس بينهم وبينه أيّاً من العقود[64].

فالعهود والمواثيق واجب على المسلمين إنفاذها؛ لأن نقضها والتراجع عنها يتناقض مع الإيمان، بل هو صفة من صفات الفاسقين، كما بيّن ذلك الحق سبحانه وتعالى: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ)[الأعراف:102]، كما أن نقضها يؤدي إلى القتل وسفك الدماء، قال عليه الصلاة والسلام محذراً: "ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر"[65]، فإذا ترتب على نقض العهود وعدم الوفاء بالعقود، تفشي القتل واستباحة الدّم في المجتمع، فماذا بعد هذا القتل من فساد وبغي وطغيان، يشقى المجتمع ويتلظّى بلهبه الحارق، ويتجرع مرارته القاتلة، ويذوق حسرته الأليمة.

2- أكل أموال الناس بالباطل

نهى الإسلام عن أكل أموال الناس بالباطل، والتعدّي عليها وغصبها من أهلها عنوةً وقسراً، قال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)[البقرة:188]، فمن اعتدى على أموال الناس فقد ارتكب الحرام، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[66]. ويعدّ المال من الضروريات الخمس التي جاء الشرع لحفظها وحمايتها من أي اعتداء وانتهاك، وقد عاقب الله تعالى بعض عباده ممن اعتدوا على أموال الناس وأكلوها بالباطل، بحرمانهم من الطيبات التي أحلت لهم، قال تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[النساء:161160].

ومن صور التعدي على المال وأكله بغير حق مشروع، التعدي على مال اليتيم ونهبه، واستغلاله والتصرف فيه بعيداً عن مصلحة ورعاية اليتيم، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[النساء:10].

فالاعتداء على أموال الناس عموماً، وعلى أموال اليتامى خصوصاً، أمر منهيّ عنه يتوجب على المسلم أن يتجنبه وأن يبتعد عنه؛ لأن شيوع مثل هذه المخالفة في المجتمع، ينتج عنه عداوات بين الناس، ويكون سبباً للفرقة والنزاع، ويحمل بعضهم على بعض، وكلّها أسباب تقود للعدوان والطغيان، والبغي والاستعلاء.

3- الغش وتطفيف الكيل والميزان

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المسلمين بالعدل والإنصاف في سائر الأمور، ونهاهم عن الغش، وتطفيف الكيل والميزان؛ لما في ذلك من آثار سيئة وانعكاسات سلبية، تصيب الأفراد والمجتمع، قال تعالى: (أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا

فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[الشعراء:183181].

فواجب المسلم أن يكون صادقاً عادلاً في جميع معاملاته، وأن يبتعد كل البعد عن جميع صور الغش وتطفيف الميزان؛ لأن ذلك الفعل من صفات المنافقين؛ ولأن الغش فيه خداع وغرر، وهذا قريب من الكذب، والمسلم صادق لا يكذب ولا يرضاه لغيره من المسلمين. كما أن المسلم أمين في تعامله مع غيره من المسلمين، لا يظلمهم ولا يغشهم، ولا يأكل حقوقهم ولا يعتدي عليها، ويحفظ الأمانات ويؤديها إلى أهلها على أكمل وأتمّ وجه، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)[النساء:58]، لذا فإن الغش وعدم الأمانة في الكيل والميزان، يعدّ من الأسباب المؤدية إلى الطغيان. قال تعالى محذراً عباده من طغيان الميزان، والإخلال في المكيال، وتجاوز العدل والإنصاف: (أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) [الرحمن:8]، أي لكي لا تعتدوا وتتجاوزوا ما ينبغي أن يكون عليه الحال من العدل والإنصاف، وأن تجري الأمور وفق ما شرع الله تعالى وسن من الموازين، وبذلك ترتقي شؤونكم، وتنتظم سائر أعمالكم وأخلاقكم وأحوالكم[67].

المبحث الرابع
الطغيان المالي

ينتج الطغيان المالي عادة في المجتمعات والدول من قبل الشخصيات التي تملك الثروات الهائلة، والأموال الضخمة التي لا تعد ولا تحصى، وتتحكم في مقدرات الدول انطلاقاً من مكانتها وسياستها الجاثمة على صدور الناس، وتسعى جاهدةً لفرض سيطرتها وأجندتها على الشعوب من خلال ما تملك من السلطة والجاه والمال، مستغلةً حاجة الناس لهم وعوزهم لما في أيديهم من كنوز وأموال وخيرات.

المطلب الأول: حقيقة المال

يعدُّ المال في حقيقته الأولى مال الله تعالى، لقوله تعالى: (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)[النور:33]، ونعمة يمتن بها الله على من يشاء من عباده، ويجعلهم مستخلفين في هذا المال، مؤتمنين عليه، قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)[الحديد:7]، فلا يعقل أن يرزق الإنسان من المال والنعيم، دون هدف، ولا غاية، بل لا بد من رسالة يؤديها ويقوم بها من خلال ما رزق في هذه الحياة الدنيا، فقد أنيطت به خلافة الأرض وعمارتها دون سائر المخلوقات، نظراً لما أكرمه الله به من عقل وإرادة دون غيره من المخلوقات. إلا أن سعة الرزق التي يتفضل بها الله تعالى على بعض عباده، قد تقودهم إلى الاستعلاء والطغيان بسبب استغنائهم، قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)[العلق:76]، يخبر الله تعالى أن الإنسان ذو فرح وبطر وعلو وطغيان، إذا حاز المال والرزق الكبير، ووجدت نفسه الاستغناء بما لديها من نعمة وسعة من الله تعالى[68].

وفي مقابل ذلك يوسع الله سبحانه وتعالى على بعض عباده بالرزق، فيغدق عليهم من نعمه وفضله، فلا ينسى هذا العبد حق الله في هذا المال والفضل، فيشكر ولا يبطر، ويحمد الله ويثني عليه، وينفق ويتصدق ولا يقتر، لأنه يؤمن أن هذا العطاء هو منّة من الله تعالى أغدق به عليه من غير استحقاق منه، أما إذا رآى نفسه تستحق هذا العطاء، وأعجب به وطغى بسببه واستطال على غيره من خلاله، فلم يكن له من هذه المنح إلا الفرح والبطر[69].

المطلب الثاني: الناس والمال

جعل الإسلام للمال مكانة متميزة من خلال نسبته إلى الله تعالى، كما في قوله: (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) [النور:33]، إلا أن الناس في نظرتهم للمال على قسمين، منهم من يؤدي حق الله تعالى في هذا المال تلبية لأمره عز وجل، قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)[الحديد:7]، وقسم آخر طغى واستكبر بعد أن أغناه الله بهذا المال، قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)[العلق: ٦ – ٧]، وقد تحدث سيد قطب عن هذين الصنفين من الناس بأن أحدهما تستهويه زينة الدنيا ومتاعها الزائل، وآخر متصل بالله تعالى لا تفتنه ولا تغريه الأموال مهما بلغت وكثرت، فيقول: "وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا، ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة؟ من مال أو منصب أو جاه. ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى، كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى! ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدوه، ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها. فأما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيم الحياة، وفي نفوسهم قيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع، وهم أعلى نفسا، وأكبر قلبا من أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعا. ولهم من استعلائهم بالله عاصم من التخاذل أمام جاه العباد"[70].

المطلب الثالث: نماذج بشرية على الطغيان المالي

أولاً: قارون

قصة قارون باختصار أنه كان"من قوم موسى، فهو

إسرائيلي وليس قبطياً، وأرسل الله موسى إليه مثل ما أرسله إلى فرعون وهامان. وقد أعطى الله قارون أموالاً عظيمة، وكنوزاً وافرة، تملأ خزائن عديدة. ويثقل حمل هذه الكنوز والخزائن، بحيث تنوء بحملها العُصبة من الرجال الأقوياء الأشداء. وقد استخدم قارون هذه الأموال في البغي والظلم والعدوان، وفي التكبر والبطر والخيلاء. وكان فتنة للفقراء الضعفاء من بني إسرائيل"[71].

فقد كان قارون من قوم موسى عليه السلام، وكان عليه أن يؤمن ويصدق بما جاء به النبي موسى عليه السلام، إلا أنه بغى وطغى بما أوتيه من مال وكنوز؛ لأن المال يهوي بصاحبه إلى الطغيان إذا خلا قلبه من الإيمان، وهذا ينطبق على قارون الذي وصفه الله تعالى بأنه: (كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ)[القصص:76]، أي أنه كان منهم، عاش معهم وسكن بينهم، إلا أنه لم يحفظ تلك الصلة والعلاقة، ولم يصنها على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه، فما كان منه إلا أن طغى وتكبر وبغى عليهم، بعد أن جمع المال الكثير[72]. ولم يفصل القرآن صورة البغي "ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم- كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان- وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال. حق الفقراء في أموال الأغنياء، كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم محاويج إلى شيء منه، فتفسد القلوب، وتفسد الحياة. وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب"[73].

إنه قارون الذي يمثل الطغيان المالي في زمن موسى عليه السلام، الذي تتكرر نماذجه عبر التاريخ في صورة أشخاصٍ أو شركاتٍ إقتصادية أو دولٍ رأسمالية أو غير ذلك من الصور والمسميات، التي تجسد حالة الطغيان المالي الذي يقوض المجتمعات، ويفسد الحياة، ويجعل الناس طبقات متصارعة، ويغري بعضهم قتال بعض، وتنشب بينهم الصراعات والحروب، بهدف الاستيلاء على الخيرات، ونهب منابع الثروات، ووضع اليد على مقدرات الضعفاء من الناس، ليجعل منهم أيتاماً على موائد الطغاة اللئام. فما من ناحية من نواحي الأرض إلا ويثير فيها الطغاة العصاة الحروب والخصومات، سعياً منهم للحفاظ على كراسيهم، وتحصيناً لعروشهم التي شيّدت على حساب المال العام، وعلى حساب الشعوب المستضعفة والمقهورة، وتحقيقاً للمغانم والمطامع والمكاسب، سواء كان ذلك من خلال الشركات الخاضعة لنفوذهم وسيطرتهم، كشركات السلاح أو النفط وغيرها، أو من خلال إضعاف الدول الفقيرة أصلاً لتبقى تدور في فلكها، وحتى لا تقوى وتخرج عن طوعها وأمرها وسيادتها.

وهذا واقع مشاهد للناس جميعاً، فما من دولة ولا مجتمع إلا ويوجد فيه من القارونين الذين يطغون بمالهم، ويفسدون بكنوزهم، وينشرون الفساد بغناهم، وهم الذين بسبب طغيانهم وترفهم وفسوقهم تُهلك القرى بأمر الله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[الإسراء:16]، أي أن المترفين"في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها"[74].

ثانياً:صاحب الجنتين

ومن القصص التي سطرها القرآن الكريم، قصة الرجل الذي آتاه الله جنتين من أعناب وزروع وثمار، قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا)[الكهف:32]، حيث تتجلى في هذه القصة ظاهرة الطغيان المالي بشكل واضح، كما تجلت من قبل في قصة قارون، قال تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)[الكهف:34]، فيعظ الرجل المؤمن الكافر بأن يشكر نعمة الله تعالى، وما أفاء عليه من خيرٍ عظيم، وأن يتبرأ من قوته وحوله، قال تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)[الكهف:37] إلّا أنّه رفض واستكبر، واغتر بما بين يديه من الزروع والثمار، واستبعد زوال جنتيه وقيام الساعة، كما اغتر قارون بما بين يديه من كنوز، ولم يتبرأ أيضاً من قوته وحوله، بل قال مدعياً: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي)[القصص:78]، وهذا حال الطغاة دوماً، لما يرواْ ما بين أيديهم من نعمٍ كثيرة، وهذا ما حكاه القرآن الكريم على لسان فرعون عندما أعلن قائلاً: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[الزخرف:51]، إلا أنّ صاحب الجنتين اغتر بما أوتي من أموال، وما وهبه الله تعالى من أولاد وعشيرة، قال تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)[الكهف:34]، وهذا جهل وغباء منه، لأن أي افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة وحسنة نفسية، ولا صفة معنوية تحمل في جوهرها نشوة الإعتزاز، فإنما هو سراب، لا

قيمة له ولا اعتبار[75].

وبهذا فقد بلغ صاحب الجنتين ما بلغ من الكفر والطغيان، عندما ترك صاحبه المؤمن، ودخل جنته بكل كبر وخيلاء وهو ظالم لنفسه؛ بسبب حالة الكفر والجحود والغرور التي كان عليها، قال تعالى: (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)[الكهف:53]، فهل بعد ظلم الإنسان لنفسه، والورود بها إلى مهاوي الردى من طغيان وخسران؟

ومما سبق يتبين أن هناك آثاراً سيئة للطغيان دنيوياً وأخروياً، منها إضلال الله تعالى للطغاة عقوبة لهم على طغيانهم، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)[النحل:36]، ومنها ظلم الطاغية لنفسه بحرمانها من الهداية والإيمان، قال تعالى: (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[التوبة:70]، ومنها نيلهم العقاب كما حل بالطغاة المكذبين من أمثال قوم عاد وثمود وفرعون، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)[الفجر:13]، ومنها كره العباد لهم والتبرؤ منهم، قال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين) [التحريم:11]، ومنها حمل الطغاة يوم القيامة أوزار من أضلوهم في الدنيا، قال تعالى: (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُون)[العنكبوت:13].

أما إذا خلا المجتمع من الطغاة ونشأ أبناؤه على الطهارة والصلاح، فإنه يحيى بذلك حياة طيبة ما دام الإيمان حاضراً، قال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَان)[النحل:112]، ويحيط بهم الأمان من كل جانب، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[الأنعام: 82]، وبهذا لا يستوي مجتمع يسوده الطغيان، وآخر يسوده الصلاح والإيمان، قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [الجاثية:21].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بفضله تتم الطاعات وتغفر الزلات، نحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين المقرين بنعمه وآلائه؛ على ما يسر وسهل وأعان على إتمام هذه الرسالة، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الخيار الكرام، وبعد:

فإنه من المفيد في ختام هذا المبحث، وبعد التطواف والبحث في آفاق كتب التفسير، وكتب الحديث، فيما يتعلق بموضوع المبحث، أن يورد الباحث أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1- الطغيان في الاصطلاح، لا يخرج عن معناه في اللغة وهو مجاوزة الحد، وقد يكون في الأمور المادية، والأمور المعنوية.

2- الآيات التي تحدثت عن الطغيان في العهد المكي أكثر منها في العهد المدني، والسبب يعود إلى كثرة انتشار الشرك الناتج عن الطغيان في العهد المكي، وتحذير المسلمين من عواقب الطغيان والوقوع فيه.

3- تعددت مجالات الطغيان لتشمل الطغيان العقدي والسياسي والاجتماعي والمالي.

4- برز الطغيان العقدي بشكل واضح لدى فرعون من خلال ادعائه الألوهية والربوبية، واستئثاره بمعرفة الخير والهداية لنفسه فقط.

5- يتجلى الطغيان السياسي في أيامنا هذه من خلال الكثير من المسؤولين الذين يتولون مناصب متقدمة في دولهم ومجتمعاتهم، الأمر الذي يترتب عليه آثار سيئة على الأفراد والمجتمع.

6- يؤدي أعوان الطغاة (الملأ) دوراً مهماً في وجود وانتشار الطغيان السياسي.

7- الطغيان الاجتماعي يؤدي إلى نشر الفرقة والخلاف بين أبناء المجتمع، ويهدد وحدتهم، ويضعف قوتهم، ويفرق كلمتهم، ويشتت جمعهم.

8- الطغيان المالي يتولد لدى الأفراد والمجتمعات نتيجة كثرة الغنى والأملاك، وقد تجسد هذا الطغيان بصورة جلية لدى قارون الذي حاز من المال الشيء الكثير.

الهوامش

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (ت:395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط/1399هـ، (412/3). وانظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت

-لبنان، ط1، 1403هـ -1983م، ص141.

(2) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417 هـ - 1996م، (406/2).

(3) النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر، (ت:338هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة- جامعة ام القرى، (ط1/1409هـ)، (269/1).

(4) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، (مؤسسة الرسالة -بيروت)، (ط1/1413هـ)، ص189-190.

(5) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (ت:310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420هـ)، (577/23).

(6) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420هـ)، (506/1).

(7) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط)، (د.ن)، (407/2).

(8) النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: 437هـ)، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، (ط1/ 1422 هـ - 2002 م)، (246/10).

(9) البقرة:15، الأنعام:110، الأعراف:186، يونس:11، المؤمنون:75.

(10) الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت: 1414هـ)، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، (د.ط)، 1405هـ، (58/9).

(11) النساء:(61،51)، المائدة:(60، 64، 68).

(12) طه:(24، 43)، النازعات:17.

(13) هود:112.

(14) البقرة(256، 257)، النساء(51، 60، 76)، المائدة:60، النحل:36، الزمر:17.

(15) حجازى، محمد محمود، (ت:1432هـ)، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد-بيروت، (ط10/1413هـ)، (309/2).

(16) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت:685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط1، 1418هـ)، (155/1).

(17) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الشافعي، (ت: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، (ط1/1415هـ)، (184/1).

(18) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (184/1).

(19) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت،(ط1/1419هـ)، (387/8).

(20) الطبري، جامع البيان، (553/22).

(21) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الرسالة، بيروت- لبنان،(ط8/1426هـ)، (1307/1).

(22) عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د.ط)، (445/1-446).

(23) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (481/1-482).

(24) انظر: الزمخشري، الكشاف، (396/3). الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، (ت:604هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1421هـ)، (3479/1).

(25) انظر: النيسابوري، الكشف والبيان، (48/7). الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت: 725هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر - بيروت/ لبنان - 1399هـ، (د.ط)، (38/5).

(26) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (449/1-450).

(27) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، (د.ط)، (د.ن)، (82/14).

(28) الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت:502هـ)، تفسير الراغب، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب- جامعة طنطا، (ط1/1420هـ)، (1206/3).

(29) طنطاوي، محمد سيد، (ت:1430هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، (151/5).

(30) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، (ط1/1414هـ)، (196/4).

(31) انظر: ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، (ت: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، (321/3). القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري، (ت: 1307هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، بَيروت، (د.ط)، 1412هـ، (344/1). طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (398/10).

(32) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (131/1-133).
(33) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (2/ 196).
(34) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (434/1-439).
(35) قطب، سيد إبراهيم حسين، (ت:1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط17/1412هـ)، (500/2).
(36) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (112/31).
(37) انظر: ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين، (ت:213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل –بيروت، (د.ط)، 1411هـ، (180/3).
(38) انظر:الطبري، جامع البيان، (433/10).
(39) الكَوَاكِبِي، عبد الرحمن بن أحمد، (ت:1320هـ)، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، المطبعة العصرية – حلب، (28/1).
(40) المرجع السابق، (29/1).
(41) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي –بيروت، (د.ط)، (د.ن)، (4/ 2299)، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم:(3005).
(42) الغزالي، زينب محمد، (ت:1426هـ)، أيام من حياتي، دار النشر والتوزيع الإسلامية–مصر، (د.ط)، 1999م، (100/1).
(43) انظر: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري، (ت: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي– القاهرة، ط:1419هـ، (7/ 230).
(44) قطب، في ظلال القرآن، (445/7).
(45) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، (408/10).
(46) قطب، في ظلال القرآن، (2694/5).
(47) الجلعود، محماس بن عبد الله، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، دار اليقين، (ط1/1407هـ)، (232/1).
(48) المخزومي، محمد باشا، (ت:1348هـ)، خاطرات جمال الدين الأفغاني، (89/1-90).
(49) انظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، (16/1). الغزالي، محمد أحمد السقا، (ت:1416هـ)، الإسلام والاستبداد السياسي، دار الكتاب العربي، (د.ن)، (39/1).
(50) القرضاوي، يوسف عبدالله، من مقال بعنوان: هل صحيح أن الاستبداد السياسي من علامات الساعة، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، انظر: http://www.qardawi.net/new/all-fatawa/5191-2011-08-10-17-42-32
(51) الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م، (10028/16).
(52) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته. رقم الحديث: 7198، (77/9).
(53) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، مكتبة دار القلم– الرياض، (ط1/1416هـ)، (203/1).
(54) مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم: 1679، (1306/3).
(55) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم، حديث رقم: 2617، (2020/4).
(56) قطب، في ظلال القرآن، (3344/6).
(57) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها، حديث رقم:2563، (1985/4).
(58) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، حديث رقم: 2564، (1486/4).
(59) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم:1829، (1459/3).
(60) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الإشهاد في الهبة، حديث رقم2587، (3/ 158).
(61) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم:1468، (2/ 1091).
(62) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب ما يكره من ضرب النساء، حديث رقم:5204، (32/7).
(63) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، حديث رقم:2328، (1418/4).
(64) انظر:الطبري، جامع البيان، (17-444).
(65) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت: 458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط3، 1424هـ، (386/9). ذكره الشيخ الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة بعد أن ذكر الشواهد وناقشها حيث قال:"وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب".
(66) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله، حديث رقم:2564، (1986/4).
(67) المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت:1371هـ)، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي– مصر، (ط1/1365هـ)، (107/27).

(68) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (422/8).
(69) انظر: الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، مباحث العقيدة في سورة الزمر، مكتبة الرشد- السعودية، (ط1/1415هـ)، (199/1).
(70) قطب، في ظلال القرآن، (2713/5).
(71) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم- دمشق، (ط5/1428هـ)، (571/1).
(72) انظر: حجازى، التفسير الواضح، (848/2).
(73) قطب، في ظلال القرآن، (2711/5).
(74) قطب، في ظلال القرآن، (4/ 2217).
(75) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (476/1).

المصادر والمراجع

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت: 1414هـ)، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، (د.ط)، 1405هـ.

الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ)، تفسير الراغب، تحقيق: د. محمد بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، (ط1/1420هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، مكتبة دار القلم -الرياض، (ط1/1416هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، (د.ط)، (د.ن).

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي، (ت:685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (ط1، 1418هـ).

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت: 458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط3، 1424هـ.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

الجلعود، محماس بن عبد الله، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، دار اليقين، (ط1/1407هـ).

حجازى، محمد محمود، (ت:1432هـ)، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد-بيروت، (ط10/1413هـ).

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(ت: 725هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر- بيروت/ لبنان - 1399هـ، (د.ط).

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم- دمشق، (ط5/1428هـ).

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، (ت:604هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1421هـ).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د.ط)، (د.ن).

زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، (مؤسسة الرسالة -بيروت)، (ط1/1413هـ).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420هـ).

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417 هـ - 1996م.

الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، (ط1/1414هـ).

الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، مباحث العقيدة في سورة الزمر، مكتبة الرشد- السعودية، (ط1/1415هـ).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (ت:310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420هـ).

طنطاوي، محمد سيد، (ت:1430هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، (د.ن).

ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، (ت: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د.ط).

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الصوفي، (ت: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ط:1419هـ.

الغزالي، زينب محمد، (ت:1426هـ)، أيام من حياتي، دار النشر والتوزيع الإسلامية- مصر، (د.ط)، 1999م.

الغزالي، محمد أحمد السقا، (ت:1416هـ)، الإسلام والاستبداد السياسي، دار الكتاب العربي، (د.ن).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط/1399هـ.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الرسالة، بيروت-

لبنان،(ط8/1426هـ).
القرضاوي، يوسف عبدالله، من مقال بعنوان: هل صحيح أن الاستبداد السياسي من علامات الساعة، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، انظر: http://www.qardawi.net/new/all-fatawa/5191-2011-08-10-17-42-32
قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، (ت:1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط17/1412هـ).
القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري، (ت: 1307هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، بَيروت، (د.ط)، 1412هـ، (1/344).
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط1/1419هـ).
الكَوَاكِبي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود، (ت: 1320هـ)، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، المطبعة العصرية – حلب.
المخزومي، محمد باشا، (ت:1348هـ)، خاطرات جمال الدين الأفغاني.
المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت:1371هـ)، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده –مصر، (ط1/1365هـ).
مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي –بيروت، (د.ط)، (د.ن).
النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر، (ت:338هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة –جامعة ام القرى، (ط1/1409هـ).
النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: 437هـ)، الكشف والبيان، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط1/ 1422هـ – 2002م).
ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، (ت:213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل– بيروت، (د.ط)، 1411هـ.
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الشافعي، (ت: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت، (ط1/ 1415هـ).

Aspects of Human Tyranny in the Holy Quran

Odeh Abdullah, Nader Sawaftah *

ABSTRACT

This study is based on the study of the subject of tyranny through the verses of the holy Qur'an. Qur'an has pointed out numerous aspects and kinds of tyranny, such as the religious tyranny, political tyranny, financial tyranny, and social tyranny. It has emerged through this research that the tyranny is a serious issue, which has terrible consequences on the humanity as a whole; Qur'an has warned and fought against the tyranny, revealing its cruelty and brutality, and asked to exterminate and confront it with all legitimate means as well, due to the dreadful effect tyranny conveys to human kind and humanity in general.

Keywords: Quran, Interpretation, Tyranny, Human.

* Faculty of Shariah, An-Najah National University, Palestine. Received on 16/4/2016 and Accepted for Publication on 14/8/2016.